



ما خلفته مجازرة حماه الكبرى

لقد تعودت الوحش أن تأكل غيرها لكنها لا تأكل أبناءها،

فالحاكم هو أب يحمي شعبه ولا يقتل أفراده بسلاح دفعوا ثمنه له ليدافعوا به عن أنفسهم أمام الأعداء. وقد قتل حافظ الأسد بهذا السلاح الكثير من شعبه في حلب وتدمير وجسر الشغور...

لكن قتله كان هنا أشد فقد قتل 5 إلى 10 بالمئة من شعب مدينة حماة واعتقل 20 بالمئة من السكان وهدم 5 أحياe هدماً كاملاً عدا غيرها الكثير، وظل بعدها حاكماً وبكل وقاحة بل وسلم ابنه بعده.

وفي إحصاء أجريته بنفسي بعد الأحداث مباشرة عبر استبيان الاستبيان التي جمعتها تبين لي أن 70 بالمئة من الشهداء كانوا متزوجين، وكان كل متزوج قد خلف ما معدله الوسطي 3 - 2 ولد، وهكذا خلف كل ألف شهيد في المجازرة 700 أرمله و2240 يتيناً وهكذا كان الأيتام بعشرات الآلاف، وكان معظم الشهداء تحت الثلاثون عاماً أي أن معظم الأطفال كانوا بين جنین في بطن أمه وحتى عمر 7 سنوات تقريباً.

وأغلبهم قد دمرت بيوتهم (وهاهم اليوم في الساحات وهو هي أمهاتهم تنتظر القصاص)

مما ألقى علينا في لجنة المساعدات حملاً مادياً ثقيلاً. والمني أن امرأة قتلوا زوجها وقد مضى على زواجهما أقل من ثلاثة أيام

وتسألني كم كان عدد الشهداء في المجازرة فأقول لقد ورد الآلاف في كتاب حماه مأساة العصر وجمع أحد أصدقاءي 13000 ثلاثة عشر ألف اسم وهو مقيم خارج سورياً وممنوع من دخولها، ونهبت محلات البسطاء والأغنياء وأصبح عشرات الآلاف

الذين هدمت بيوتهم بلا مأوى، كما يجب أن أشير إلى أن المفقودين في الأحداث والمسجل بعضهم في كتاب (حماء مأساة العصر) يجب أن تعتبرهم شهداء في الغالب. وقد تسألني لماذا في الغالب؟ فأقول لأن البعض خرج من السجن بعد عشرين عاماً ولم يكن هناك أي خبر يشير إلى حياته من أي سجين خرج من السجن أو من خلال مراجعة دوائر الدولة، وكان البعض قد سجله أهله متوفياً كما تقاسموا تركته ثم ظهر أنه سجيننا بعد عشرات السنين.

والبعض الآخر خرج ليرى أن زوجته تزوجت والقصص في ذلك كثيرة، هناك رجل في حي الباشورة أخلي سبيله بعد حوالي 20 عاماً فجاء بيته في وقت متأخر ليلاً وقرع الباب فخرج له رجل فقال من أنت؟ فقال له أنت من؟ قال أنا زوج فلانة فقال أنا زوجها!! ودعاه للدخول للبيت وجلسا في غرفة الضيوف وعلم السجين أن زوجته تزوجت غيره بعد أن اقتنعت بأن غيبته كانت لموته، فكل الناس الذي أخذوا أصبحوا في علم الغيب هل هم في السجن أم هم أحياء، وكان العشرون عاماً بدون خبر عنه وهو محبوس في سجن صحراوي أو في زنزانة كان كل ذلك كافياً للاقتناع بأنه قد فارق الحياة منذ المجازرة أو أعدم فوراً في محكمة سجن هزلية. اذهبوا لحماء وأسألوهم عن هذه القصص الشائعة جداً. وقد تزوج الأستاذ أحمد غندور من زوجة شهيد وعاش معها في قطر وبعد 18 عاماً خرج زوجها من السجن وتبيّن أنه لم يمت.

وكان قد ترك زوجته حاملاً في أول حمل ليعلم بعد الخروج أن له بنتاً بعمر 18 عاماً وأن زوجته تزوجت وغادرت البلاد كذلك مع ابنتها.

لكن السلطة هي وحدها التي تعلم حجم الجريمة التي فعلتها وخاصة أنها لم ترضى تبلغ الوفاة للشهيد لتصفية الإرث المتعلق بأهله إلا أن يكتبوا شهادة بأن الإخوان المسلمين هم الذين قتلوه. فمن حمل مسؤولية أهالي هؤلاء الضحايا؟

لاشك أن الترابط الاجتماعي القوي جداً في حماه كان هو الشبك الأول الذي حمى حماه اجتماعياً بعد المجازرة ونجم عنه التساند المادي لهذا لم تجد في حماه متسللاً واحداً سواء كان طفلاً أم امرأة أم رجلاً.

وقد قمت بدراسة عبر استمرارات عن الشهداء والمعتقلين والمفقودين وأولادهم وأملاكهم وكنا نرسل المساعدات المالية لكي تصل إلى ولد الأرملة حسب الأدب الاجتماعي (أبو الزوج أو أبو الزوج) وقمنا بتوزيع المساعدات على أهاليهم وكان التوزيع يتم عبر المقيمين في دول الخليج في الغالب.

وكان كل منهم يصل لأقربائه (وأهل حيه عبر أقربائه) ومنها لداخل البلاد مباشرة، وكنا نشتري سوارات الذهب ونرسلها عبر النساء التي تزور أولادها في الأردن وغيرها وكذلك نرسل عبر سائقي الشاحنات، كما كنا نرسل عبر الحاجاج في موسم الحج (وقد نهبت اللجنة إلى الحج من أجل التوزيع) وكذلك في العمرة، لأن إرسال المبالغ الكبيرة لتوزيعها داخل المدينة كان صعباً جداً، ولتصوير الخوف والإرتباك فقد أرسلنا من يرمي النقود لزوجة شهيد من فوق الباب فأخذتهم للمخابرات (ظننت أن الأمن يجربيها وقلوبنا على جوع أولادها)

وقد جربنا إنزال امرأة جريئة تقيم مع ابنها في الأردن واسمها أميرة البيطار فلقد فتطوعت لإنزال المساعدات المالية فوزعتها في حيها حي سوق الشجرة على المصايبين، وبعد رجوعها للأردن طلبها الأمن السوري وقد ظلت مطارده إلى أن توفت في الخارج بعد 28 عاماً.

وكنا نعطي الزوجة 500 ليرة سورية ولكل ولد من أولادها مئة ليرة (وتزداد في حال صغر العائلة) وتدفع لهم مصروف سنة كاملة في كل مرة، وكنا نشجع العائلة على شراء ماكينة صوف.. وقد قمنا بدفع تكاليف تشطيب شقة لعائلة ليكون لها دخل دائم منها (على سبيل المثال) وكنا نقدر فيما إذا كانت العائلة في بيت إيجار. وقد اشتري الإخوان بيوتاً أسكنوا فيها عوائل

لتكون قاعدة لهم فلما غادروا ظلت الأمور معلقة.

ومن الجدير بالذكر أنه في البداية كان من الواجب مساعدة الجميع فالغني أصبح فقيراً مؤقتاً بسبب قلة السيولة.

ومن الأمانة القول إننا لم نميز في توزيع المساعدات أي سبب كان فكل الضحايا شهداءنا ومعتقلينا ومصابينا.

وأنا أعترف أننا لم نستطع الوصول للجميع ولكن يشهد الله أننا عملنا ضمن الممكن المتاح وقد غطينا أعداداً كبيرة جداً.

وكان الكل يشترط أننا لا نستطيع دفعها باسم الأخوان المسلمين ودفعوها باسمهم الشخصي لأقربائهم ومعارفهم ونالوا المحبة والثناء ونحن فرحون بأن نصل ونرجوا من الناس أن يذكروا أنها لم تكن منهم (حين يمكن ذلك) حتى لا يكونوا من قال فيه الله (الذين يحبون أن يحمدو بما لم يفعلوا) وقد وزع على يد لجنتنا حوالي 5 مليون ولا ادرى بعدها كم الذي وزع، وكان منا أخ يملك سيارة وقد سخرها لها العمل بدون مقابل.

كما كون الإخوان لجاناً لإيواء النازحين من حماه أو غيرها في الأردن والعراق، مما أن تصل العائلة حتى تعطى الأثاث الأساسي ويستأجر لهم بيت على حساب الإخوان ويعطوا راتباً شهرياً، وسكن معظمهم الأحياء القديمة من عمان وكان أهلي من هذه الأسر (جزاهم الله خيراً) وكان ذلك سواء لأي أسره متضررة ومن أي جماعة إسلامية كذلك على الإطلاق، وقد كفل هذا لهم الحياة الكريمة. وقد هرب الكثير خارج البلاد بسبب الخوف من أخذهم رهائن بدل الملاحقين من أولادهم أو إخوتهم (والذين لاحظت أعداداً كبيرة منهم في السجن). وقد شجع الإخوان القادمين على العمل بعد المجازرة ولا زال الكثير منهم حتى اليوم ولهم محلات وتجارات، حتى أن بعضهم تجنسوا كذلك. علماً أن أعداداً كبيرة من أهل حماه لجأت للقرى المحيطة بالمدينة فكان منهم العون الشديد كأهل قرية صوران.

من أين المال للمساعدات:

كان الإخوان السوريون المقيمون العاملون في الدول الغربية يدفعون مرتبًا شهرياً كtribut في كل سنة منذ بداية الأزمة، وبعد مجرزة حماه تم في الكويت جمع تبرعات كبيرة على باب مسجد يخطب به الشيخ أحمد القحطاني والذي كان نعم النصير، وكذلك وصل للأستاذ عدنان سعد الدين تبرعاً لحماه بمقدار 30 ألف دولار من جمعية عجمان الخيرية في الإمارات، وكذلك ذهبنا نحن لجنة التوزيع الثلاثة مع الشيخ سعيد حوى والأستاذ عدنان سعد الدين إلى بيت الكويتي أبو بدر المطوع (وكان في قصره في عمان وهو متزوج من حماه) وتبرع لنا بـ30 ألف دينار أردني (وكان سعر الدينار حوالي 13 ليرة سورية) وكذلك من الصندوق العام للجماعة.

ولم تسمح السلطة للتأمينات الاجتماعية بصرف التعويضات للأسر بعد فقد أزواجها (وهي مقطوعات العمال في القطاع الخاص حيث تقطع من راتبهم ومن صاحب العمل كذلك وتصرف حين الوفاة أو الانتهاء من العمل) وقد طالب وفد حماه بصرفها عام 2006 أمام بشار الأسد حين استدعى وفداً لمقابلته، كما شكوا له حاجة حماه إلى جامعه ومصانع للدولة وكان معظم الحديث من قبل السيد عدنان حمدون لكن الرئيس لم ينفذ شيئاً (يحرّبّتو ما أكنته).

قد تسألني عن الهدف والسبب الذي قتل بسببه هؤلاء ورملت نساوهم ويتم أطفالهم!

وأفيديك بأن الجيوش الطائفية والنظمية لم تقتل إنساناً بإسمه إلا 85 شيخاً وعالماً الذين كان منهم المفتى وقتها الشيخ بشير مراد وسيقوا إلى جهة مجهولة ولم يعلم مصيرهم حتى الآن وبعد 30 عاماً وكذلك فإن رئيس جمعية العلماء في حماه الشيخ عبد الله حلاق قتل جانب البناء التي يسكن بها، أما باقي الناس فقد قتلوا لأنهم حمويون لا يحبون النظام، (وحتى في السفارات في الخارج فقد عومل الحمويون كغيرهم بمنع الجوازات وذاقوا في ذلك الممارسات التي لا تطاق وإنفروا عليهم ليحرموهم العمل في دول الخليج بحجج مختلفة...).

لقد بذل الإسلاميون كل جهدهم للدفاع عن شعب حماه وقتل منهم 84 في المئة في إحصاء أجريته بنفسي، وقد رجع بعضهم بعد مغادرته البلد.

وأقسم بالله أن لو كان هناك أسلحة وذخائر لقاتل حماه شهوراً طويلاً بفضل المشاركة العظيمة من أبنائها. (وقد سألني مرة قريري العلماني هل كان كل أهل حماه مع الإخوان فقلت نعم، فقال كم النسبة؟ فقلت أكثر من 95 في المئة وهذا كان ضرورياً لإيواء المجاهدين، ولقد كان المسيحيون مع الإخوان في وجه السلطة كذلك، وقدرأيتم كيف دمر الجيش لهم كنيستين تدميراً كاملاً. حتى أن أحد الإخوة المسيحيين (وهو حلاق في طلعة سوق الشجرة أطلق النار باتجاه الجيش)، لقد كانت أدوات الثورة إسلامية بالعموم لكن الأهداف كانت هي الحرية والعدالة ومكافحة الفساد ولصالح كل الشعب السوري وهي مطالب إسلامية بامتياز.

وقد تحامل الحمويون على جراحهم ونفعهم كرمهم ونحوتهم فتساعدوا ولم يتركوا أحداً يتسلل في المدينة وجمعوا من قروشهم البسيطة بعد كل صلاة جمعه وعلى مدى ثلاثين عاماً ما بنوا به بعض مساجدهم المدمرة الـ (55 مسجداً) وكذلك الكنائس.

وتابتت السلطة الضغط والإذلال بعد الأحداث وكذلك تفجير المدينة ومتابعة معاقبتها وتخويفها بالاستدعاء الدوري للجميع إلى فروع المخابرات مع التهديد والتخويف حتى لا يكون هناك رد عنيف منهم على جرائم السلطة .

(ولمعرفة آلاف الجرائم راجع كتاب حماه مأساة العصر والذي كتب وطبع على عجل ليغطي جزءاً من الحدث وهو موجود بكامله على الإنترنيت، وكذلك مقالاتي في الموقع عما حدث) لقد كان وما يزال أهل حماه يتحدثون يومياً ولساعات أحياناً عن هذا الجرح العريض العميق الذي لم يندمل، ولا زالوا مع باقي ضحايا سوريا ينتظرون القصاص.

هكذا فعلت 248 دبابة و156 مدفع و248 قاعدة إطلاق صواريخ وأكثر من 25 ألف عسكري من الطائفيين أو بقيادة الطائفيين في بلدي الضحية مدة 22 يوماً وكانت المجازرة الهائلة المريرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

رحم الله الشيخ سعد الدين العلمي مفتى القدس حينها والذي أفتى بقتل حافظ الأسد جزاء المجازرة الكبرى والغير مبررة والتي فعلها في حماه.

إنما أيضاً:

انتفاضة الثمانينات ومجازرة حماه (1) الأسباب

انتفاضة حماه ومجازرة الثمانينات (2) الصراع حول لحظة الصفر

المصادر: